الحنين إلى الوطن في الشعر الجاهلي المتلمس الضبعي (أنموذجاً)

دكتور/ مروان بن محمد قماش
أستاذ مساعد الأدب القديم
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الملك عبد العزيز

يحاول هذا البحث دراسة موضوعه (الحنين إلى الوطن) ويختار متتنا للدراسة من اجل التطبيق شعر متلمس الضبعي. ويلزمنا هذا ابتداء الرجوع إلى دلالة كلمه (وطن)

في استعمالات العرب الفصحاء التي احتفظت بها المعاجم العربية ، لأنها تكشف عن رؤية الجاهليين للوطن ومفهومهم له . يورد ابن منظور في معجمه الموسع (لسان العرب) ما يأتي : "الوطن المنزل تقيم به ، وهو موطن الإنسان ومحله والجمع أوطان" وأوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها

قال الأخطل :

كروا إلى حريتكم تغمرونها كما نكر إلى أوطانها البقر

وطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطنا . يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه قال رؤبة:

كيما ترى أهل العراق أنني أوطنت أرضاً لم تكن ليس وطنا

والموطن المشهد من مشاهد الحرب ، قال طرفه :-

علي موطن يحشي الفتي عنده الردي متى تعترك فيه الفرايص ترعد

وبالتنزيل العزيز : " لقد نصركم الله في مواطن كثيرة " سورة التوبة أية ٢٥)

وفي الحديث أن " رسول الله صلي الله عليه وسلم " نهي عن أن يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير ، قيل : معناه أن يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصاً به يصلي فيه كالبعير. (١)

ونستنتج من الاقتباس السابق أي مما أورده ابن منظور في معجمه ما يأتي :-

١ – إن كلمه الوطن تشير إلى موضع سكن العربي أو نزوله بالمكان ، ذلك لان حياه العربي في الجاهلية علي وجه الخصوص كانت قائمه علي الحل والارتحال ، لاحترافهم في الغالب حرفه الرعي ، فكانوا يتنقلون سعياً وراء موارد الماء والعشب والكلأ

٢ – الارتباط بين العربي والإبل ارتباط كبير ، فالإبل هي أداته في التنقل والارتحال من مكان إلى آخر ، ويلاحظ الاقتراب النفسي بين العربي وإبله إلى الحد الذي قد يأخذ فيه العربي بعض عاداتها .

وبلغت شهره العرب بالحنين إلي أوطانها حداً بعيداً جعلها تسكن في أدبياتها وفي ثقافتها، فقد ألفت الكتب في الحنين إلي الأوطان ومن أشهرها (رسالة الجاحظ المشهورة) " في الحنين إلى الأوطان " وقد حشد في رسالته ماده أدبيه غزيرة تؤكد حب العربي لموطنه علي الرغم من وعورته وقسوة الحياة به فإنما هو في الغالب واحة صغيره في قلب صحراء متشابهة الصوي والأعلام ، تخترقها سلاسل جبلية ، يجتمع به حول مورد الماء وما يصاحبه من نمو العشب جماعة أثنية أو عرقيه ينتمون إلي أب واحد مشكلين قبيلة مستقلة تجمع بين أفرادها رابطه الدم وأواصر القربى وأحياناً الجوار ، ويجدون في مثل هذا المكان مصدراً للحياة لهم ولحيواناتهم .

يورد الجاحظ ما يأتي :- " قال أعرابي يحن اللبيب إلي وطنه كما يحن النجيب إلي عطنه " (٢)

ويلاحظ الربط أيضاً بين العريق من العرب والكريم من الإبل في الحنين إلى الأوطان . وأورد الجاحظ أيضاً ما يدل علي حب العرب لأوطانهم وان بدا ذلك غريباً غير متوقع لغيرهم لصعوبة عيشهم ،وجدب أرضهم، وفقر حياتهم ،يقول الجاحظ ما يأتي : "وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربه بلدها رملاً وعفراً تستنشقه ...

وقيل لأعرابي : كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتقل كل شيء ظله ؟

قال : وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً فيرفضوا عرقاً، ثم يتصب عصاً ،ويلقي عليها كساءة ويجلس في فيئه يكتال الريح ، فكأنه في إيوان كسري ! وقيل لأعرابي ما

أصبركم علي البدو ؟ قال كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض ، وغطاؤه السماء ، وطعامه الشمس ، وشرابه الريح !. (٣)

ثم يلجأ الجاحظ إلي استخدام النص الديني محاولاً استغلال سلطته في التدليل علي هذه الخصيصة النفسية لدي العرب فيقول : وما يؤكد في حب الأوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : " ولو أن كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم .(٤)

" فسوي بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالي : (وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين) سورة البقرة الآية٢٤٦ .

ويلاحظ أن الجاحظ شأنه في ذلك شأن المتكلمين – فهو من المعتزلة – لا يفتقر إلى الرغبة في الحجاج والإقناع فيستخدم مفردات مثل (ويؤكد ذلك) ثم يستخدم آيات القرآن الكريم لتعضيد ما يذهب إليه وتقويه كلامه .

الشاعر وقبيلته :

يتخذ هذا البحث متناً للدراسة شعر المتلمس الضبعي وهو " جرير بن عبد المسيح الضبعي أحد بني ضبيعه ابن ربيعه بن نزار كان من فحول شعراء البحرين ويعد من شعراء الطبقة الثانية .

والمتلمس لقب به لقوله:(٥)

فهذا أوان العرض طن ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس

فهو من الشعراء العدنانيين الذين ينتسبون إلى بكر بن وائل ، ومن بني ضبيعه علي وجه الخصوص وكانت منازلهم بالبحرين في الشمال الشرقي من جزيرة العرب تتاخم دوله المناذرة وهي إمارة عربيه اصطنعها الفرس للدفاع عن حدودهم وصد الغارات التي تأتيهم من القبائل المتبدية أي التي تسكن البوادي فإذا عضها الجوع كانت تغير علي القرى والحواضر المجاورة القريبة منها ، فاصطنع الفرس هذه الدويلة لتحمي حدودها وتكون خط الدفاع الأول عنها إذا ما نشبت الحرب بينها وبين الروم ، فقد كان العالم القديم – الشرق الأدنى المعروف لنا – تتقاسم السيادة فيه والنفوذ دولتان عظميان ، هما دوله الفرس الساسانية ، ودوله الروم أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الدولة

البيزنطية) وعلي الرغم من الأصل العربي لدوله المناذرة في العراق فهم ينتسبون إلى قبائل لخم وتنوح (٦)

ويعد من أشهر ملوك المناذرة" وازهي عصورهم " عصر المنذر ابن ماء السماء (حوالي ٥١٤ – ٥٥٤) م(٧)

ثم خلفه عمرو بن هند (٥٥٤– ٥٦٩) م وينسب إلي أمه " وربما كانت نصرانيه "(٨) وقد لقبته العرب بالمحرق " لأنه نظر أن يقتل مائة رجل من تميم حرقاً وبر بنذره في يوم أوراه باليمامة ... وقد أصبحت الحيرة في عهده مركز أدبياً مزدهراً ، إذ كان بجزل العطاء للشعراء فوفد عليه كثيرون منهم عمر ابن قميئة والمسبب ابن علي والحارس ابن حلزة وعمرو ابن كلثوم التغلبي"(٩)

وكان شاعرنا المتلمس ممن يفد عليه وكذلك ابن أخته المعروف طرفه ابن العبد وكانا قد مدحا عمرو ابن هند ثم عادا فقاما بهجائه ، ومن ثم أتت قصه الصحيفة التي كتبها عمرو بن هند إلى أحد ولاته يأمره فيها بقتل كل من المتلمس وابن أخته طرفه ، وقد اظهر الملك لهما أن ذلك الوالي سيقوم بمكافأتهما بدلاً من الملك " وكان المتلمس حسن الشعر كثير الآداب حصيف الرأي " خرج مع ابن أخته طرفه إلى عمرو بن هند وهجاه حتى أراد قتله واليه تنسب صحيفة المتلمس التي يضرب بها المثل ... فلما علم المتلمس بمضمون الصحيفة قذف بها في نهر بالحيرة وقال (من الطويل) :

قذفت بها في اليم في جنب كافر كذلك ألقي كل رأي مضلل

رضيت بها لما رأيت مدادها يجول بها التيار في كل جدول

ثم هرب إلى الشام والتحق بملوك آل حفنه النصارى – من الغساسنة . (١٠)

وربما كانت النصرانية أوفي حظاً من غيرها من الديانات السماوية وأكثر انتشاراً في جزيرة العرب فربما فضل العربي الوثنية دين آبائه وأجداده حفاظاً علي العصبية القبلية علي تلك الديانات الوافدة وسجل القرآن الكريم .

" بل نتبع ما ألفينا عليه أبائنا أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " س–ي

وقد انتشرت النصرانية انتشاراً واسعاً في اليمن وشمال الجزيرة العربية الغربي والشرقي ، ويظن العلامة جواد علي أن انتشارها في اليمن بدأ منذ القرن الرابع الميلادي . (١١)

ويقول شوقي ضيف :

"وإذا كان العرب الشماليون في الجاهلية استشعروا البغضاء لليهود فلم يتهود منهم أحد، فأنهم لم يحسوا نفس الإحساس إزاء النصرانية والنصارى ، وإن ظلوا في الغالب يحتفظون بدينهم الوثني ويرون فيه رمز استقلالهم وسيادتهم ، وكانت المسيحية في الشام ديناً للدولة ، ودخل فيها الغساسنة كما قدمنا في غير هذا الموضع ، وكانت منتشرة بين الآراميين فيما بين النهرين بالعراق ، واعتنقها اللخميون بالعراق في أواخر القرن السادس الميلادي وكانت منتشرة قبل اعتناقهم لها في جمهور عربي من سكان الحيرة سمي بالعباديين وتشير الكلمة التي سموا بها ، إلى أنهم عباد الله وكانوا أخلاطاً من قبائل شتي" (١٢)

وذكر من شعراء المسيحية في الجاهلية عدي بن زيد العبادي شاعر الحيرة المعروف ،وذكر علاقته بالنعمان أبي قابوس وما طرأ عليها من مد وجزر. (١٣)

وإذا كان النصارى من عرب الشمال (يعاقبة) يقولون بأن المسيح علية السلام طبيعة واحدة واقنوم واحد " وصاحب هذا المذهب هو يعقوب البرادعى المولود حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد وقد دخل في مذهبه الغساسنة ومن والاهم من عرب الشام . (١٤)

فإن عرب العراق من تغلب وإياد وبكر كانوا نساطرة نسبته إلى نسطور المتوفى سنة ٤٥٠ ميلادياً وكان يرى أن للمسيح طبيعية أو أقنومين هما أقنوم الناسوت وأقنوم اللاهوت . (١٥)

ولكن المشكلة الدينية لم تكن تشغل بال العربي ولم يكن للدين عنده المكانة المهمة التي تتوقعها فقد كان ، في الغالب يميل إلى الوثنية دين أبائه وأجداده ويفضله على غيرها ولم يكن اعتناق القبائل البدوية لتلك الديانات السماوية قبل الإسلام ضرباً من التدين الخالص بقدر ما كان وسيلة اتصال أو قناة ، تقربهم من الدول أو الإمارات التي كانوا يقومون بخدمتها وحماية حدودها ، وينالون من خلال ذلك ما يحتاجون من الرفد والعطاء والميره والطعام الذي كانت تجود به الأراضي الخصبة التي تقع تحت سلطان تلك الإمارات التي ذكرنا أنها كانت متمثلة في الغساسنة حليفة الدولة البيزنطية أو الرومانية الشرقية في حين كان المناذرة العرب أيضاً حلفاء لدولة الفرس الأكاسرة وتتاخم إمارتهم العربية حدود الإمبراطورية الفارسية ، أي أن الدين لم يكن مهما لدى

العرب الجاهلي في تلك الدولتين إلا بقدر ما يربطه بالدول المتحضرة التي يقوم بحراسة حدودها وخدمتها.

الشاعر: –

جرير ابن يزيد ابن عبد المسيح ينسب إلى بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٣ه وكان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابهم : " كان سبب هجاء المتلمس عمراَ واسعا ، عمرو بن هند واسم المتلمس جرير بن يزيد بن عبد المسيح ، فقال أبو عمر ابن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ه هو جرير بن عبد المسيح أخو ضبيعة ابن ربيعة ابن نزار وكان في أخواله من بني يشكر ، وقال إنه فيهم ولد حتى كانوا يغلبون على نسبه " (١٦)

" **ديوان شعر المتلمس الضبعى** "

ويركز جامع الديوان الأصمعى على ما يتصل بعلاقتع السياسية بالسلطة الحاكمة التي ينتمي بالولاء إليها وذلك على عادة العرب في اعتبار الحروب أساساَ لتواريخهم وهى مركز اهتمامهم بها يؤرخون لنشأة الشعر كما يؤرخون بالحروب للأحداث الضخمة المهمة فيقولون على سبيل المثال ولد محمد ابن عبد الله صلى الله علية وسلم في عام الفيل سنة ٥٧١م وكان عام الفيل حرباَ كبيرة بين الأحباش والعرب استهدفوا بها بيت الله الحرام بمكة "فأرسل الله عليهم طيراَ أبابيل" وخاب سعيهم، وفشلت غزوتهم.(١٧)

ويتفق مع ما سبق أن ذكره الأصمعي عن سبب الخلاف بين الشاعر وبين عمرو بن هند على النحو الآتي " سأل عمر بن هند يوماَ الحارث ابن التوأم اليشكري عن نسب المتلمس ، فقال : أوانا بزعم أنه من بني يشكر ، وأوانا بزعم أنه من بني ضبيعة أضجم . فقال عمرو بن هند ما أراه إلا كالساقط بين فراشين .

فبلغ ذلك المتلمس فقال في ذلك هذه الكلمة : –

يعيرني أمي رجال لا أرى ∴

أخ كرماً إلا بأن يتكرها

ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن ∴

له حسباَ كان اللئيم المزعما .

أمنتقلا من آل بهثة ضلتنى ∴

ألا إنني منهم وإن كنت أينما .

ألا إنني منهم وعرضي عرضهم ∴

كذي الأنف يحمى أنفه أن يكشما .

وكنا إذا الجبار ثغر خده ∴

أقمنا له من ميله فتقوما . (١٨)

ويلاحظ أن السبب الذي أثار العداوة بينه وبين أخواله من بني يشكر وبينه وبين الملك عمر ابن هند من جهة أخرى يرجع إلى اتهامه في نسبه وذلك يبرر ما ورد في قصيدته من الفخر بقومه ومن اللجوء إلى الحكمة بقوله .

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا

وما علم الإنسان إلا ليعلما .

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي

جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وهل لي أم غيرها إن تركتها

أبى الله أن أكون لها إنما . (١٩)

وتبدوا الحكمة في البيت الأول معبرة عن إحساسه بما يخفيه أخواله على وجه الخصوص من ضيق صدورهم لإقامته بينهم ، بعد أن شب وكبر وصار رجلاً يمكنه العودة إلى بني أبيه .

ثم يجدد الفخر بأمه ويعرف لها قدرها ووصفها عربية حرة يشرفه الانتساب إليها .

ثم يفخر بشخصيته ، ويعتذر عن عدم البطش بمن قاموا بالاعتداء عليه ، بكونهم أخواله الذين نشأ بينهم ، فلولا تلك الرابطة من جهة الأم التي يعتز بها لكان قد جدع أنوفهم وجعل لهم ميسم ذل يبقى أبد الدهر . فهو يفتخر بنفسه وبقدرته على دفع الضيم أو الظلم عنها وبقدرته على البطش بأعدائه ، ويعلن في الوقت نفسه اعتزازه بالانتماء إلى أمه (اليشكرية) وإن كانت من غير قبيلته . لكن الشاعر يقرر أمراً خطيراً هو أن يرتحل عن أخواله الذين نشأ بينهم ، وشعر بأنه واحد منهم وبأن منازلهم

ومواطنهم هي منازله ومواطنة ومن ثم تبدأ تجربة الاغتراب والحنين إلى الوطن لـديهم ، وتترك أثارها واضحة في شعره كما سنبين.

وتتمثل غربته الأولى في نشأته في غير قومه من بني أبيه ، ولا بد أنـه قـد تعـرض لكثير من الأذى والشر خلال إقامته بين أخواله من بني يشكر . وتعددت قـصائده فـي شكوى اغترابه بين أخواله ففضلاً عن القصيدة السابقة التي قيلت رداً على إساءة عمرو بن هند إليه وتهكمه أو سخريته من نسبه واتهامه بالتداخل والاختلاط .

يقول الشاعر :.

تفرق أهلي من مقيم وظاعن فلله درى أي أهلي أتبع

أقام الذين لا أبالى فراقهم وشط الذين بينهم أتوقع

على كلهم أسى ، وللأصل زلفة فزحزح عن الأدنين أن يتصدعوا

ونلاحظ أن هذه الأبيات تتقاسها ثنائية . تبدو بينها علاقة التضاد (في البيت الأول فـي قوله من مقيم وظاعن)

ولكن هذه الثنائية الضدية ينمحي أثرها بتكرار كلمة أهلي التـي وردت مـرة بالـشطر الأول ووردت مرة أخرى بالشطر الثاني ، تعبر عن حكم عام بأن كلا الصنفين يـشملها الوصف بالأهل ومن ثم تأتى حيرته التي يعبر عنها في الشطر الثاني .

(ولله دري أي أهلي أتبع)

وكان بوسع الشاعر هي أن يقول أي فريق أو أي شطر لكنه يساوى بينهما في الانتمـاء إليهما ونجده في البيت الثاني يعبر أيضا عن حيرته بين أهله من قبل أمـه ، وأخوالـه حيث ترد رواية أخرى للشطر الأول يقول " أقام الذين أحب جوارهم ، وهـذه الروايـة أدق وأنسب في التعبير عن الحيرة لأنها تتفق مع الشطر الثاني الذي يعبـر فيـه عـن حرصا على الشطر الثاني من قومه ، بقولة " إنه يحذر ، ويتوجس خوفاً من فـراقهم ، وإن كان الفراق أمراً محتوماً ، تفرضه البيئة العربية على ساكنيها سعياً وراء مـصادر الحياة (الماء والعشب والكلأ) في بيئة يتداولها الجفـاف ، ويتعاقـب عليهـا الجـدب والإقفار .

ويلاحظ أن البيت الثالث يشتمل على تقدم للجار والمجرور المتعلقين بالفعـل (أسـى) بما يفيد قصد حزنه أو اشتماله كلا الفريقين . وحتى عنـدما يـذكر اعتـزازه بقولـه

(وللأصل زلفة) فتظن أنه يفضل بني أبيه نجده يرجع فيقول لا تتباعد عن الأدنين فيصدعوا عنك ويفارقوك يعنى بها أخواله من بني يشكر ثم يقول في هذه القصيدة بعد ذلك .

ألكنى إلى قومي ضبيعة إنهم
أناس فلوموا بعد ذلك أو دعوا
وقد كان أخوالي كريما جوارهم
ولكن أصل العود من حيث ينزع
فلا تحسينى خاذلا متخلفا
ولا عين صيد من هواي ولعلع

ويلاحظ أنه في البيت الأول من هذه الأبيات الأربعة ، يتمثل شخصا يخاطبه ويلتمس منه أن يبلغ قومه من بني ضبيعة أنه ينتمي إليهم ويعتز بنسبه فيهم ، يعبر عن ذلك بضمير الملكية في قوله (قومي – أناس) ثم يعرض بمن يتهمه في نسبه بقوله (فلوموا بعد ذلك أودعوا) أي أنه إذا ما تمسك به قومه واعتبروه واحداً منهم وأعطوه حق القرابة والجوار فإن الشاعر لا يبالى بأحد بعد ذلك مهما يكن في لؤمه أو سوء فعله ، أي أن انتماءه إلى قبيلته يغنيه عن كل العالمين ويلاحظ أن الشعر يفترق عن الخبر القصصي الذي يتبادله الناس فيما بينهم ، فإذا كان الخبر تتوالى أحداثه وتتصاعد وفق منطقه السببية أو التعليل لكن الشعر يشتمل على كثير من التكرار فهناك شعور رئيس وفكرة مسيطرة ما يزال الشاعر يعبر عنها ويمارس حقه في التأكيد عليها بواسطة التكرار وغيره ، ولذلك قد يبدو في البيت الثامن من القصيدة شيئاً من التناقض حين يقول :

وقد كان أخوالي كريما جوارهم
ولكن أصل العود من حيث ينزع

فإنه يتضح من خلال الشطر الأول حزنه على فراق أخواله ويصفهم بأنهم (كريما جوارهم) ثم يعود الشاعر في الشطر الثاني فيتذكر حنينه إلى قومه من بني أبيه ويصفهم بأنهم (أصل العود) ويظل العود في رأيه يحن إلى أصله الذي نزع منه

فيعبر الشاعر على هذا النحو عن الحيرة يبين انتمائه إلى أخواله من بني يشكر وبين انتمائه إلى قومه من بني ضبيعة . ويذكر المحقق لديوانه (حسن كامل الصيرفي) تفسيراً أخر يورده في هامش التحقيق على النحو الآتي:

" **يقول – أي الشاعر** "

أخوالي كانوا كراماً ، ولكن أذهب إلى أعمامي كما ينزع العرق إلى أصله " ويؤكد هذا التفسير أيضا ما لاحظه الباحث من حيرته بين الانتماء إلى قومه ، والانتماء إلى أخواله . ويذكر في البيت التاسع أن فراقه لأخواله كان فراق مضطر ، فعندما ارتحل عنهم ذهب إلى مكان يدعى عين صيد وإلى مكان آخر يتاخمه يدعى (لعلع) . فيذكر أنه لم يكن خاذلا متخلفا عن أخواله وأن المكان الجديد الذي ذهب إليه هو مكان غربة ولم يكن كما ذكر الشاعر (من هواه) ، فقد ارتحل عن أخواله مكرها .

ثانياً : الغربة السياسية :

وتبدأ هذه الغربة وإذا كانت الغربة الأولى غربة قبلية ، سببها الحيرة في الانتماء إلى أخواله أو إلى بني أبيه ، وهى أيضا غربة مكانية تتمثل في نشأته في ديار أخواله بعيدا عن ديار بني أبيه ، فإن الغربة هذه المرة غربة سياسية منذ اللحظة التي اختلف فيها مع السلطة المركزية التي يدين لها بالطاعة والولاء وهى سلطة عمرو بن هند أمير دويلة المناذرة بالحيرة . وكانت تلك الإمارة تقوم على حماية الحدود الجنوبية الغربية لدولة الفرس من هجمات القبائل العربية .

وكانت تلك الإمارة العربية تتدخل في العلاقات بين القبائل العربية أو تقوم بتنظيمها بما يخدم أمن حدودها ، فقد تلجأ إلى الغزوات العسكرية إذا اضطرت إلى ذلك وتعمل في الغالب إلى استمالة القبائل العربية وكسب ودها عن طريق الأعطيات والمنح خاصة وأنها تمتلك الأراضي الزراعية الخصبة وما تنتجه من غذاء .(٢٠)

ولم يكن أمام القبائل العربية في الشمال الشرقي فى الجزيرة العربية أو في الشمال الغربي منها سوى أن تلجأ إلى إحدى الإمارتين المناذرة التابعة لدولة الفرس أو إمارة الغساسنة التابعة لدولة الروم .

وكذلك فعل شاعرنا المتلمس الضبعي عندما حرم من خدمة دولة المناذرة وما تقدمه من ميرة وطعام وعطاء في تلك البيئة العربية البالغة التوحش والفقر ، فإذا كانت قد سدت

فى وجهة أبواب إمارة المنازرة فليتجه إلى الإمارة التي تقابلها وتعاديها وهى إمارة الغساسنة .

يذكر الدكتور جواد على أن المتلمس قد فر إلى بلاد الشام حيث الغساسنة أعداء المناذرة وصار يمدحهم (ويهجو عمرو بن هند ، ويقال إنه استقر بمدينة (بصري) خشي أن يعود إلى العراق لأن الملك عمرو بن هند كان قد أهدر دمه وندر قتله، وحرم علية ب العودة إلى العراق ، ذلك فضلا على ما ثار بينه وبين أخواله في بني يشكر من خلاف فظل بالشام على ديانة المسيحية السائدة في الدولة الرومانية والإمارة التابعة لها إمارة الغساسنة . ويلاحظ أن شعرة ببلاد الشام قد تنوعت أغراضه من هجاء لعمرو بن هند ، ومن دعوة إلى الثورة علية ، فضلا عن قصة الصحيفة المشهورة ونتوقف عند قصائده التي تعبر عن ذلك ، منها قصيدته التي مطلعها .

يا آل بكر ألا لله أمكم طال اللثواء وثوب العجز ملبوس

ويذكر جامع الديوان الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفى ٢١٦ ه أن هذه القصيدة (مختارة)(٢١)

ويورد هذه القصيدة أيضا الأب لويس شيخو ويقدم لها بقوله (وبقى المتلمس في الشام وبلغه أن عمرو بن هند يقول (حرام عليه حب العراق أن يطعم منه حبه ولئن وجدته لأقتلنه . فقال المتلمس يهجو عمرو أو هي من مختار شعره(من البسيط)(٢٢)

يقول الشاعر :.

حنت قلوصي بها والليل مطرق بعد الهدوء وشاقتها النواقيس

معقولي ينظر التشريق راكبها كأنها من هوى للرمل ملسوس

وقد ألاح سهيل بعد ما هجعوا كأنه ضرم بالكف مقبوس

أنى طربت ولم تمسى على طرب ودون إلفك امرات أماليس

أمي شامية إذ لا عراق لنا قوماً نودهم إذ قومنا شوس

لن تسلكي سبل البوباة منجدة ما عاش عمرو وما عمرت قابوس

أليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في الغربة السوس

لم تدر بصري بما أليتي من قسم ولا دمشق إذا ديس الكداديس

عيرتمونى بلا ذنب جواركم هذا نصيب من الجيران محسوس

فإن تبدلت من قومي عديدكم إني إذا الضعيف الرأي مألوس
كم دون أسماء من مستعمل قذفي ومن فلاة بها تستودع العيس
ومن ذرى علم تأتى مسافته كأنه في حباب الماء مغموس
جاوزته بأمون ذات معجمة تنجو بكلكلها والرأس معكوس

يبدأ الشاعر تعبيره عن الحنين إلى بلاد الشام مهجره الجديد خلال رحلته إليها ، فتوحد بناقته عندما يجعل الكلام على لسانها حنة القالوسى) ، فيذكر حنين ناقته إلى الوطن حيث يستقربها المقام وإذا كان قد ذكر فعل الرحلة الدالة على السرد القصصي ، فإنه بذكر زمن الرحلة : (والليل مطرق بعد الهدوء) ويعود إلى السرد فيعتمد على الفعل (شاقتها النواقيس) ، فيذكر أن ناقته حنت إلى بلاد الشام وجاشت مشاعرها لسماع صوت النواقيس ، فلا شك في أن الشاعر يعبر عن نفسه بواسطة إسناد الأفعال إلى ناقته ، ويكشف عن طقوس النصرانية السائدة ببلاد الشام ويرتاح إلى أصوات نواقيس كنائسها فيعتمد على المجاز في التعبير عن حالته الشعورية خلال رحلته .

ثم يأخذ في وصف راحلته أي ناقته التي يرتحل عليها فبعد أن جعلها فتية شابة قوية ووصفها بالسرعة وسهولة السير في الصحراء أو بعبارة أدق أنها تجيد السرى به ليلا.

ونظن أنه قد تخلص من ناقته على هذا النحو من السرعة عندما يلتف ،إلى السماء فيلاحظ (سهيل) وهو من أسطع الكواكب الثوابت نوراً ولعله كان يهتدي به فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " وبالنجم هم يهتدون "سورة النحل ص ١٦.

ويذكر أن سراه إلى الشام كان بعد الهدوء وبعد أن هجع الناس ، وعلى عادة الشعراء في الولع بالتشبيه فهو مفتاح باب الشعر ، كما ذكرا بن رشيق القيرواني .

يشبه سهيلاً في قولة (كانوا ضرم بالكف مقبوس) في علم المكان والتوهج والاقتران بنهايات فصل الصيف (٢٣).

ثم يدخل الشاعر في البيت التاسع في حوار مع ناقته متعجباً من طربها وشده انفعالها وسرعة حركتها ، مع أنه يعجبه منها هذا المرح وهذا النشاط بقولة (ولم تلي على طرب) لكن سر تعجبه يكشف عنه في السطر الثاني أن بينها وبين من تحب وتألف صحارى شاسعة بقولة (ودون إلفك إمرات أماليس)

المرت : الأرض التي لا نبات لها بسبب الجدب ويدل الجمع على الكثرة وبعد المسافة(٢٤).

ويستمر في السرد القصصي ، يعبر عن مشاعره من خلال وسيلته العملية للسرى ، ووسيلتع الفنية لقوله الشعر وهى الناقة ، يقول (حنت إلى نخلة القصوى) فهي تمر إلى مواطنها فيخاطبها الشاعر أن تكف مع ذلك لأنه ليس أمامها إلا تلك الدهاريس أي المهالك والدواهي التي قد تسببها الصحراء .

كما قد يسببها البشر من أعدائه. ثم نجده في البيت الحادي عشر يخاطب ناقته بقوله (أمي شامية – إذ عراق لنا) فيطالب الشاعر ناقته أن تحسن القصد دونما حنين إلى شئ من الماضي ، فلم يعد لهما عراق ، لأن من به (قوما لانودهم) فلم يعد أمامنا إلا التوجه إلى الشام بعد أن اختلف مع أخواله من بني يشكر بقول (إذ قومنا شوس)

إذ أهلها مبغضون لنا . ويصارح الشاعر ناقته أو بعبارة أدق يصارح نفسه أن لا سبيل إلى العراق ويعلل ذلك بقوله ، عاش عمرو ما عمرت قابوس أي أنه لا يستطيع الوصول إلى خيرات العراق ما دام عمرو بن هند في سلطته أو على قيد الحياة .

وإذا كان قد التفت في البيت السابق فخاطب عمرو بن هند ، فإنه يكمل الالتفات كذلك فى البيت السادس عشر فيذكر عمر بن هند بقسمه ألا يطعم المتلمس شيئاَ من حب العراق أبد الدهر ، ثم يأسى الشاعر على حرمانه من ذلك الخير الكثير الوفير الذى يزيد عن حاجة البشر فيأكله السوس.

اَليت حب العراق الدهر أطعمه

والحب يأكله في القرية السوس

وبعد أن يفرغ من الأس على حرمانه من عطاء عمرو بن هند يحاول أن يعلل نفسه الأمل في الوصول إلى الطعام من غير أرض المناذرة فما زال أمامه الشام بقراه المخصبة في بصري وفى دمشق ثم يأخذ الشاعر من خلال شكوى من حب العراق ومن خلال وصف متاعبه في الرحلة إلى بلاد الشام في لوم وأخواله من بني يشكر الذين تسببوا في هذه الكربة ، وكانت لهم يد في الوقيعة بينه وبين عمرو بن هند بقوله في البيت الثامن عشر (عيرتموني بلا ذنب جواركم) وهذا لا يليق بالجيران فضلا عن الأقارب .

ويقارن فى البيت التاسع عشر بينهم وبين قومه يذكر أن أخواله ذوو عدد قوة وبأس لكنة لا يختار على قومه من بني أبيه أحداَ لو فعل ذلك لكان (ضعيف الرأي مألوس) أي فاقد الرشد (الهداية أو عار من العقل تماما)

ثم يأخذ في الأبيات الأخيرة من قصيدته (الأبيات ٢٠-٢٢) في تقوية نفسه وتشجيعها على احتمال مشاق السفر مستعملا في التعبير عن مقصوده أو مرغوبة التكنية باسم(أسماء)

ويعبر عن كثرة أسفاره ورحلاته وقدرته على قطع الفلوات والمفاوز والصحارى باستخدام كم الخبرية الدالة على الكثرة ، فكم قطع من فلاة أو بيداء ترك فيها المرتحلون بناقهم خلال أسفارهم بسبب إعيائها أو غير ذلك . وكم مر بجبال عالية تعتر في طريقه ، وتحول دون الوصول إلى ما يريد لكنة كان ينجح بسبب إصراره وإصرار ناقته التي أتعبها السفر يقول :.

جاوزته باقون ذات معجبة

تنحو بكلكلها والرأس معكوس

فقد أعانته ناقته على اجتياز الجبال ذوات الذرى العالية ، وذلك لما تتصف به هذه الناقة التي تعبر عن شخصيته صاحبها مأمونه (أمون – ذات معجمة)

أي خبيرة بالسير في الطرق الوعرة وكذلك مأمونه الجانب يعتمد عليها ومن فرط سرعتها تبدو كأن كلكلها يسبق في الحركة رأسها ، يقول محقق الديوان في شرح البيت أي عنقه الناقة ملوية من نشاطها فراكبها يجذبها وهى تنازعه السير) (٢٥)

ولما كان عمرو ابن هند سببا مباشراَ فيما حدث بينه وبين أخواله من بني يشكر وأدى إلى اغترابه فإن حنينه إلى أخواله العراقيين قد ارتبط بالتحريض على الثورة والتمرد على سلطان عمرو ابن هند ، بقول الشاعر في مفتتح قصيدته السابقة :.

يا آل بكر ألا لله أمكم

طال الثواء وثوب العجز ملبوس

أغنيت شأني فأغنوا اليوم شأنكم

واستحمقوا في مراس الحرب أو كيسوا

شدوا الجمال بأكوار على عجل

والظلم ينكره القوم المكاييس (٢٦)

فيتوجه بالنداء في مطلع البيت الأول إلى آل بكر ، بذكرهم بأنهم قد طال مقامهم في جوار عمرو بن هند وتعرضهم لقهره وإذلاله ، ويعبر عن استكانتهم التامة وخضوعهم لما يتنافى مع كرامة العربي ، يعبر عن ذلك بواسطة الكناية (وثوب العجز ملبوس) أى أن العجز يحيط بهم إحاطة تامة كما يشتمل الثواب على لا يسه .

ثم يذكرهم بما فعل من تمرده على عمرو بن هند الذي اضطره إلى مغادرة أرض العراق بقولة (أغنيت شأني) ويطلب منهم أن يفعلوا مثل فعلة فليس أمامهم سوى (مراس الحرب) وعندئذ يهددهم باستخدام فعل الأمر واستحمقوا أو كيسوا فمظاهر العبارة يدل على الأمر ولكنها .

في حقيقتها ينصرف الأمر من النصح إلى التهديد بأن يختاروا التي هي أحسن لأنفسهم ، فليست الحماقة في معالجة الأمور مثل الكياسة . ثم يكرر في البيت الأخير تحريضهم على الإسراع بالنجاة من الذل والترحل عن أرضه ، فإن الظلم ينكره ، القوم المكاييس ، أي أن الإنسان الكيس الفطن لابد أن يرفض الذل مستعملا فطنة فيعجل بالارتحال إلى حيث المكان الذي تتحققه فيه حريته .

ويندرج تحت غربته السياسية ما قاله من شعر يدخل في إطار السياسة ، ويتصل بعلاقته بالسلطة المهيمنة المتمثلة في دولة المناذرة ما قاله من شعر في هجاء عمرو بن هند .

أطردتنى حذر الهجاء ولا والله والأنصاب لا تئل

ورهنتنى هندا وعرضك في صحف تلوح كأنها خلل

شر الملوك وشرها حسبا فى الناس من علموا ومن جهلوا

فنجد الشاعر يتوعد الملك لأنه قد أطرده ، وتسبب في ارتحاله عن خؤولته من بني يشكر ذلك باللات والأنصاب.ويلاحظ أن هذا القسم من أقسام الجاهلية مع أنهم كانوا يذكرون عنه أنه كان مسيحياً .

وربما يمكن تعليل ذلك بأن الوثيقة كانت كامنة في وجدان العربي ولم تغير منها اليهودية أو النصرانية شيئاً هذا هو الأرجح وإن كان من المقبول أيضاً أن نقول إنه

ربما لم يكن في ذلك الوقت نصرانياً وأنه قد تنصر بدخوله إلى الشام وهـذا ، ينقـضه قولة في القصيدة السابقة التي وصفت فيها الرحلة إلى الشام وذكر فيها أن ناقتـه (قـد شاقتها النواقيس) ومن المعروف أن الأب لويس شيخو بواقع التعصب الديني قد عـده مع أكثر الشعراء العرب من شعراء النصرانية وذكره في كتابه الخاص بشعرائها قبـل الإسلام .

ثم يذكر الشاعر ذلك الملك الأحمق بأنه إذا كان قد طرده من بلاده ، فقد ارتهـن لديـه عرضه وعرض أمه فإن هجاءه لهم في شعره سيجلب العار لهم وسيظل باقيـاً خالـداً كالنقش في السيف أو ربما سيدونها الشاعر في صحف تلوح كأنها النقش فـي بطانـة السيف .

وإذا كان الشاعر قد عرض في البيت السابق بعدم خفاء عرض الملك واستحقاقه الهجاء ، فإنه يفصح عن كذلك في البيت الثالث أنه شر الملوك في ذاته ، وشرها فـي حـسبه ونسبه ، ويعم بذكر الناس جميعاً (من علموا ومن جهلوا) ولعله بذلك يعرض بالملـك أي بكونه من الصنف الثاني ويتمادى في الهجاء أنما فيجعل منه مثلاً للغدر والشرور ، فإذا كان (عرقوب) يضرب به المثل في خلف الوعد وقال في ذكره الشاعر كعب ابن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيدها إلا الأباطيل (٢٧)

فإن الملك (عمرو ابن هند) يصح أن يضرب به المثل في الغـدر والاشـتمال علـى النقائص. ومن شعره السياسي أيضاً ، قوله في هجاء عمرو بن هند وتوعده لكنا تختلف هذه المرة عن سابقه فإن المتلمس يتوعده هذه المرة بالحرب والبأس يقول :

ألك السدير وبارق	ومرابض ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من	سنداد والنخل المبسق
والعمر ذو الإحساء	واللذات من صاع وريسق
وتظل فى دوامة	المولود يظلمها تحرق
فلئن تعش فلتبلغن	أرماحنا منك المخنق

أبقت لنا الأيام والعاني المرهق جرداً بأجناب البيوت تعل من علب وتغبق ومثقفات ذبلا حصداَ أسفتها تألق والبيضة والزغف المضاعف سرده حلق موثق. (٢٨)

ويلاحظ أن الشاعر في هذه القصيدة يتوعد عمرو ابن هند ويهدده بالانتقام منه فقد كان سبب اغترابه عن بلاد العراق وارتحاله إلى بلاد الشام .

ومن اللافت للنظر المفارقة التي ترد في القصيدة بين حال الشاعر وحال عمرو بن هند ، تجسد تلك المفارقة الثنائية الضدية بين الحضارة وبين البداوة ، فتقترن صورة الملك عمرو بن هند بالحضارة فنجد خلالها القصور (الخورنق والسدير والقصير ذو الشرفات ...)

وكذلك الماء الجاري (بارق) والمتنزهات الخضراء (مرابض – النخل المبسق) في حين تقترن صورة الشاعر بالبادئة (بأطناب البيوت) أي الحبال التي تشد بها الخيمة إلى الأوتاد لتثبيتها ، وقد ربطت إليها الخيول الجرد الخفيفة ، التي يؤثرها البدوي ، بالحليب دون أولاده (تعل من حلب وتغيق) ونجد صور السلاح العربي الرماح (ومثقفات ذبلا أسنتها تألق أي تتألق وتلمع ، والسيوف (البيض –الصوارم والدروع) والزغف المضاعف سرد. وبعد تلك المقارنة بين أحوال الدعة والرفاهية والحضارة والاستقرار وما يرتبط بنعومة العيش والترف يقارن الشاعر بين ذلك كله لدى الملك عمرو بن هند بخشونة الحياة ومشقتها خلال الصحراء التي يعيشها الشاعر وقومه وما يرتبط بذلك من امتلاكهم أسباب القوة فى أجسادهم وخيولهم وأسلحتهم المرفهة .

ومن خلال ذلك يتهدد الشاعر الملك عمرو ابن هند بأن رماحهم يعنى رماح قومهم من أهل البادية ستصل إلى عنق . الملك :

فلئن تعش فلتبلغن ∴ أرماحنا منك المخنق .

ولا شك في أن هذه المقارنة تحكم للشاعر وقومه بالانتصار على الملك لأنهم سيتبعون معه طريقة العرب في الغزوات القائمة على الكر والفر . وإذا كانت الحاضرة تسهل أمام الشاعر والمغيرين من قومه الدخول إلى قصر الملك وقتله ،

فإن الصحراء التي هي منازل قوم الشاعر تقف حائلاَ وتشكل صعوبة واضحة أمام جيش الملك إذا ما فكر في مطاردتهم وتعقبهم .

يصف الشاعر منازل قومي في البادية بقولة :

ومحلة زوراء في ∴ حافاتها العقبان تخفق

وإذا فزعت رايتنا ∴ حلقا وعادية وزروق

فمنازلهم من الصحراء بعيدة يصعب الوصول إليها بوقوعها فى قلب الصحراء وليس فيها من مظاهر الحياة سوى الطيور الجارحة العقبان (جمع عقاب) تخفق في حافاتها، وكأنها رموز للقوة تشير إلى قوة قوم الشاعر ، الذين يظهرون وقت الفزع أي الحرب في الصور الآتية (حلقا ، عادية ، وزردق)

أي نجدهم في حربهم حلقا في دوائر محكمة يصعب اقتحامها وعادية أى مقاتلين مشاة على أقدامهم يصعب إدراكهم لشدتهم في العدو ، وزردق أي صفوفا متوزعة هنا وهناك وهذه هي طريقة العرب البدو في الغزو التي تشبه في لغة المعاصرة حرب العصابات وعندئذ لن يستطيع جيش نظامي ، مثل الذي للملك عمرو بن هند أن يعمد أمامهم أو أن يقدر على صدهم .

ثالثا: الغربة الوجودية :.

ونقصد بها مشاعر الخوف والقلق التي تنتاب من يتوقع مقتله أو نهاية حياته بين لحظة وأخرى ، وعندئذ إذن يستعرض أمام ناظريه حياته كلها ، ماذا فعل فيها وكيف تمتع ، فضلا عن الشعور المر بالحرمان من متع الحياة الدنيا التي سيقطعها عنه عليه الموت أو المنون ويتمثل ذلك في القصيدة الآتية التي يرثى بها الشاعر نفسه :.

خليلى إما مت يوما وزحزحت

منایاکما فیما یزحزحه الدهر

خمرا على قبري ، فقوما فسلما

وقولا : سقال الغيث والقطر ياقبر

كأن الذي غيبت لم يله ساعة

من الدهر ، والدنيا لها ورق نضر

ولم نسقه منها بعذب ممنع

برود ، حمته القوم رجراجة بكر

ولم يصطبح في يوم حرا وقرة

حميا ، فدبت في مفاصله الخمر

ولما برع العيش الكوانس بالضحى

بأسرار مولى ألدته صفر

ولم يمدح القرم الهمام يكفه

لطائم يسقى من فواضلها القفر

رمى نجده في الناس والناس حوله

وذو يسره علب مناكبه سعر

ومأطورة شد العسيفان أطرها

إساراً وأطرا ، فاستوى الأطر والأسر

ترامقة المقلاد حتى تمكنت . (٢٩)

ويلاحظ أن الشاعر المتلمس الضبعي يبتدئ قصيدته على عادة العرب في مخاطبة صاحبين حقيقين أو متخيلين ، وتلك سنته شعرية تخدمه ابتدأها امرؤ القيس بن حجر الكندي ، الذي تحيل عنه إنه رسول أول من استوقف الصحابة ، وبكى الديار (٣٠) في قصيدته المعلقة التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

يسقط اللوى بين الدخول فحومل (٣١)

ولعلا ذكر الصاحبين في مطلع القصيدة حيلة فنية يتخذها الشاعر في التعبير عن رؤيته والقضية التي تشغله ، ولذلك لم يعد يهمنا البحث عن كونهما صديقين حقيقين من أبناء قبيلتها أو من مسواها ولم يعد يهمنا كذلك كونهما متخيلين ، فالمهم هو ما يعرض من خلالهما . ومن اللافت للنظر تكرار ما يدل على وثنية الشاعر لا تدينه بديانة سماوية كالمسيحية ، فإذا كان جل المؤرخين يذكرون أنه تنصر ودخل في المسيحية لكن معظم أشعاره تدل على بقاءه على الوثنية مثلما سبق من القسم باللات والعزى.

وغيرها من عناصر الجاهلية ، ونراه في هذه القصيدة يرجع الموت على عادة الجاهليين الوثنيين إلى الدهر (وزحزحت مناياكما فيما يزحزحه الدهر) ثم نجده

يلتمس منهما أن يقوما على قبره ويسلما (فقوما فسلما ، وقولا : سقاك الغيث والقطر يا قبر

فنجده يلتمس من صاحبيه أن يدعوا لقبره بالسقيا على عادة العرب ومما يؤكد جاهليته أيضا أنه لا يذكر شيئاَ من عناصر الدين المسيحي ولا أي شيء يتعلق بالحياة الآخرة أو الغفران والمسيح عند النصارى ، مما يفند أو يدحض .

ما ذهب إليه الأب لويس شيخو تحت ضغوط العصبية الدينية ، وقد كان نصرانيا إلى عد أكثر شعراء العرب في الجاهلية من النصارى ومنهم المتلمس الضبعي ، بل يذكر ملذات الإنسان العرب الجاهلي التي كان يمارسها من خلال وثنيته أثناء حياته في الصحراء ، ويأسى عليها ويتألم لافتقاده على النحو الآتي:

١–يأس الشاعر في البيت الثالث على حرمانه من اللهو الذي كان يعيشه فى الدنيا فيقول :

كأن الذي غيبت لم يله ساعة من الدهر والدنيا لها ورق نضر

فيعمد إلى تصوير جمال الحياة ويجعلها شجرة لها ورق أخضر ناضر ، لعله يشير إلى لهوه إبان شبابه اليانع .

٢–كان أول ما يأس عليه الشاعر هو حرمانه من المرأة :

ولم تسقه منها بعذب ممنع برود حمته القوم رجراجة بكر

ويلاحظ أنها المرأة المثال التي يعشقها الإنسان العربي فهي سمينة ممتلئة (رجراجة بكر) وهى عزيزة ممنعة تحميها سيوف قومها .

ويأس على الخمر التي كان يداوم على شربها :

ولم يصطبح في يوم حر وقرة حميا فدبت في مفاصلة الخمر

ويذكر أنه كان يصطبح أي يشرب الخمر صباحاَ لا يمنعه من ذلك أن يكون الوقت شتاءا أو صيفاَ ، ويفصل القول في تأثير الخمر بقوله (فدبت في مفاصله الخمر) أي تغلغلت ثنايا جسده ودبت في عظامه ، مستمتعا بها .

٣–يحزن لافتقاده شيئاَ مما كان يمارسه العربي في بيئته ، ويعكس وثنيته وجاهليته ، فبعد أن شرب الخمر ودبت في مفاصله ، راح إلى إبله (الكوانس بالضحى) يمارس عادة العرب في الكرم بأن يفزعها عندما يبادرها ليفحر منها لقومه والخمر والكرم مما

يفتخر به العربي . أي أن ما كان يأسى عليه الشاعر ويحزن لحرمانه منه عند عدوان الموت عليه.

إنما هو من عناصر الجاهلية وملذاتها. وعلى الرغم من جو الموت الذي يسيطر على القصيدة في مفتتحها فليس ثمة ذكر للآخرة أو للدين مما يشير إلى أنه عاش ومات وبداخلة إنسان عربي جاهلي يمارس الحياة الجاهلية المتفاعلة مع البيئة الصحراوية بعيداً عن سطوة الدين المسيحي الذي يزعمه الأب لويس شيخو :

وعلى ذلك النحو السابق نجد ديوان الشاعر المتلمس الضبعي ، يعكس حياته ويصور تصويراً فنيا تحولات الشاعر خلالها .

فقد ابتدأ بتصوير حياته بين أخواله من بني يشكر ، وذكر ما كان يعانيه أحيانا من عقدة الانتساب ، فهم أخواله لا بنو أبيه أو قبيلته وبعد تلك الغربة الأولى ذات الطابع الاجتماعي ، التي قد يعانى خلالها الفرد من نقص التكيف مع المجتمع لاختلافه عنهم فى العرق أو النسب . كذلك يصور شعرة خلافه مع الملك عمرو بن هند ، وكيف أطرده الملك من العراق واضطره إلى الارتحال إلى الشام ليحتمي بجوار أعداء المناذره ومليكهم عمرو ابن هند ، الذين يدينون بالطاعة للفرس وتسيطر على حياتهم المؤثرات الفارسية أما عن الأعداء والذين التحق بهم ودخل في خدمتهم فهم الغساسنة الذين يدينون بالطاعة للروم وتسيطر على حياتهم المؤثرات البيزنطية ومنها الديانة المسيحية ، وتلك التي نسميها بالغربة السياسية بسبب نشأتها وطبيعتها ثم كانت أخير الغربة الوجودية وما تتجلى خلاله من قلق الموت وسيطرة هاجس الفناء ، ورأينا الشاعر خلالها يستعين على تلك اللحظة القاسية بتذكر ملذات الجاهلية ووسائل المتعة في البيئة العربية الصحراوية .

المصادر والمراجع :

١- ابن رشيق القيروانى العمدة-(في محاسن الشعر وآدابه ونقده ح ٢ ص ٥)

٢- ابن سلام الجمحي – طبقات فحول الشعراء – تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف ١٩٥٢م .

٣- ابن سلام الجمحى ، طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني مجلد ١ ص ٤٥ .

٤- ابن رشيق القيروان العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ج ٢ ص .

٥- ابن منظور – لسان العرب ج١ دار المعارف ، مادة (وطن)

٦- أبو الفرج الأصفهاني – الأغاني، طبعة الساسى (التقدم ١٩٢٣هـ ، ج١ ، دار الكتب – الجزء الحادى والعشرون ج١ ليدن ١٣٠٥هـ بتحقيق رود لف برفو.

٧- أبى و تمام – الحماسة – شرح ديوان الحماسة للمرزوقى .

٨- -شرح ديوان الحماسة للتبريزى

٩- الأب لويس شيخو -شعراء النصرانية قبل الإسلام ص ٣٣٢ .

١٠- الأب لويس شيخو – المرجع السابق ص ٣٣٠

١١- الأصمعي – اختيار الأصمعي – الأصمعيات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – دار المعارف ١٩٤٩م.

١٢- الجاحظ – رسالة في الحنين إلي الأوطان ج ١ ص ٣٩١ ضمن رسائل الجاحظ ،تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الأولي بيروت دار الجبل ١٩٩١ م

١٣- الجاحظ – السابق .

١٤- الزوزنى – شرح المعلقات السبع – القاهرة مكتبة الآداب ص ١٠ .

١٥- ابن أبى الخطاب القرشى أبى ذيت جمهرة أشعار العرب – بولاق ١٣٠٨هـ .

١٦- المتلمس الضبعى ديوان شعرة – رواية الأثرم عبيده الأصمعي ، عن بتحققه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصرفي القاهرة جامعة الدول العربية معهد المخطوطات العربية ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م .

١٧- ديوان شعر المتلمس الضبعي تحقيق حسن كامل الصيرفي ط . معهد المخطوطات العربية ١٩٧٠ ص ٣-١٢ .

١٨- الديوان المتلمس الضبعي ص٢٥ .

١٩- نفسه ص ٢٦-٣٠.

٢٠- المتلمس الضبعى ديوان شعر ص ٢٦ .

٢١- المتلمس الضبعى ديوانه ص٢ : هامش .

٢٢- المتلمس الضبعى ديوان ص ٧٦- ٨٠

٢٣- المتلمس الضبعى ، ديوانه ص ٢٣٦- ٢٤٧ .

٢٤- المتلمس الضبعى الديوان ص ٢٥٦ – ٢٦٢ .

٢٥- جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام مجلد ٦، ص ٩١ -٩٢ ، ١٧٧- ١٧٩ .

٢٦- جواد على المرجع السابق ج ٦ ص ٧٧ ط١ .

٢٧- انظر جواد على : المرجع السابق

٢٨- حسن كامل الصيرفي ديوان شعر المتلمس الضبعي ص ١٦ هامش للمحقق .

٢٩- شوقي ضيف في العصر الجاهلي – القاهرة – دار المعارف ط١١ ص ٣٩٠ – ٣٩١ .

٣٠- شوقى ضيف المرجع السابق ص٤٦

٣١- المرجع السابق ص ٣٩١ .

٣٢- كعب ابن زهير ابن أبى مسلما المزنى ديوان ص٨

٣٣- محمد عبد المعين خان – الأساطير العربية قبل الإسلام . مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٣٣م .

٣٤- اختيار المفضل الضبعى – المفضليات – تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعـــارف ١٩٥٢م